آية انشقاق القمر بين أقوال المفسرين وإنكار المستشرقين

د٠ محمد بن مفضي بن فلاح السند الشراري(*)

ملخص البحث

تناولت في مقدمة هذا البحث أهمية موضوعه، وأسباب اختياره، وأهدافه، وتساؤلاته، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته، ثم جاء التمهيد: وبينت فيه مضمون عنوان البحث من خلال تبين كل مفردة من مفرداته على حدة، ثم باعتبار تركيبها، وفي المبحث الأول: عرض البحث لانشقاق القمر في ضوء المأثور من القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الكافة، مبينًا أقوال المفسرين في وقوع انشقاق القمر أيام النبي ﷺ، وفي المبحث الثاني: تصدى البحث لأبرز شبهات منكري آية انشقاق القمر، ثم بيّن أهم أوجه الرد على هذه الشبهات، وفي المبحث الثالث: عرض البحث لشبهات بعض المستشرقين حول آية انشقاق القمر، مع بيان من تبعهم من المتغربين، ثم خلص البحث إلى الرد عليها، ثم عرضت في الخاتمة لأهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها من خلال البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(*) الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين والدعوة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

Research summary

This is a summary of the research: (the verse of the moon's split between the statements of the interpreters and the denial of the orientalists), which presented in the introduction the importance of its subject, the reasons for its choice, its goals, its questions, previous studies, its approach, and its plan, then came the preface: in which I explained the content of the title of the research by in the second section: the research addressed the most prominent suspicions of the deniers of the moon's splintering verse, then among the most important aspects of the response to these suspicions, and in the third section: the research presented the suspicions of some orientalists about the moon's splintering verse, with an indication of those who followed them from the expatriates, then the research concluded to respond to them, and then presented in conclusion the most important findings and recommendations reached through the research.

And the last one called us to praise Allah, the Lord of the worlds, and may Allah bless our Prophet Muhammad and his family and companions and peace be upon him.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، مؤيد رسله بالآيات البينات، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعالى عن المثل والشبيه في الإرادة والقدرة والأفعال والصفات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي شهد له بالرسالة كتاب الله المسطور، وشهد له بالنبوة كتابه المنظور، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، ومن تبع هديه واستن بسنته إلى يوم الدين.. أما بعد:

فقد اقتضت حكمة الله – تعالى – في خلقه أن تتفاوت الألباب في وسائل الفهوم، وتتفاوت القلوب فيما يدينها إلى اليقين، فإذا الناس في هذه وتلك على مراتب ومراحل من الفهم السوي وطمأنينة اليقين، فكان منهم – في كل عصر ودهر– من لا يُطامِن عقله لصدق نبوة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام– أو يسكن قلوبهم في ظلال الإيمان إلا الآيات الكونية والمعجزات الخارقة لطبائع الأمور والحدثان، يجريها الله – سبحانه– لأنبيائه ورسله، ويقيم بها لهم الحجة على هؤلاء. فعطل لإبراهيم طبيعة النار في الإحراق، وشق لموسى سبيلًا يبسًا في البحر الهدار، وأحيا لعيسى الموتى من الأحداث، وكف لعزير طعامه عن أن يتسنه رغم مرور قرن من الزمان، صلى الله وسلم عليهم وعلى إخوانهم أجمعين.

ولقد ظل المتشككون يطالبون الأنبياء بأضراب هذه الآيات والمعجزات، فمنهم من يبتغي وجه الحق والطريق إلى الإيمان، ومنهم من يتفلت من الحق جدالًا ولجاجة. وعلى شاكلة هؤلاء كان حال أهل مكة مع النبي الأكرم ﷺ فسألوه ضربًا من هذه الآيات بأن يشق القمر، فسألها ﷺ ربه – سبحانه– فأجراها له، فكذبتها أعينهم وقلوبهم وقالوا: ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[1]، كما أخبر بذلك القرآن الكريم وكما

(١) سورة القمر آية: ٢.

رواها طائفة من الصحابة رضي الله عنهم.

ولم يقف أمر إنكار آية انشقاق القمر عند من شهدها في زمنه ﷺ بل كان نسل هذه العقول الضالة والقلوب الجامدة الجاحدة ممتدًّا إلى أيام الناس هذه، فما زال هناك من ينكرها ويجحد بها رغم ثبوتها باليقين، سواء من طريق إخبار القرآن الكريم بها، أو من طريق ما أقام علم الفضاء الحديث من البرهان عليها.

وعلى كل حال، فإن مما لا شك فيه أن التعرض بالدرس العلمي لتلك الآيات والمعجزات لهو إضافة إلى دعائم الإيمان ومزيد من تمهيد سبل اليقين في صدق نبوة الأنبياء فيما بلغوا من رسالات ربهم؛ ولذلك فقد وقع اختياري على موضوع هذا البحث، فجعلته تحت عنوان: "آية انشقاق القمر بين أقوال المفسرين وإنكار المستشرقين".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

من كثرة ما يسفر عنه موضوع هذا البحث من وجوه أهميته، يمكن إيجاز أهمها على النحو الذي ينهض أسبابًا حافزة إلى اختياره للدرس، وذلك على الإجمالي التالي:

١- أن المنافحة عن صحيح الدين؛ وقوفًا على ثغر دحض شبهات أعداء الإسلام وتجلية زيفها وبطلانها، هي من فروض الكفاية التي يترسخ بها الإيمان في قلوب أهل الإسلام، وتفتح سبل الحق لمن تجرد لابتغاء الحق من المتشككين.

٢- أن الذود عن حياض الإسلام، برد شبهات أعدائه، لهو مما يعين على أن تصفو البصائر فتمعن التدبر في كتاب الله.

٣- أن البحث في شأن المعجزات الحسية والآيات الكونية التي تثبت صدق رسالة الإسلام وأنها الحق الذي لا مراء فيه؛ هو بحث ذو طبيعة خاصة، تنطلق من خطاب العقل السوي بأدوات موضوعية ومجردة لا شبهة فيها ولا مجال لسلطان الهوى، ومنها يبين أن ما أثبته القرآن الكريم ورسوله الأمين لا يتصادم مع العقل الصحيح، ولا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى جملة من الأهداف، يمكن إجمال أبرزها على الإيجاز التالي:

١- بسط وتبيان حقيقة أن انشقاق القمر آية كونية وإحدى المعجزات التي أيد بها الله – تعالى– رسوله محمدًا ﷺ جرت وقائعها عيانًا لمن حضرها ممن سمع بنبوة النبي ﷺ فطلبها على وجه التحدي واللجاجة والإنكار والتعجيز. كما شهدها طائفة من المؤمنين.

٢- إيقاف نزق العقول المنكرة لآية انشقاق القمر بشبهة استحالتها ماديًّا؛ عند

مقتضيات حسن فهم طلاقة قدرة الله – تعالى– وتنقية الإيمان من شوائب الريب.

٣– بيان الجهد الوافي المحمود للمفسرين في رد شبهة الاستحالة المادية لآية انشقاق القمر.

٤– الرد المفحم على أبرز مطاعن منكري آية انشقاق القمر من المستشرقين ومن غرهم أو أغراهم التقدم العلمي فاتخذوه دينًا لا يؤمنون إلا بما تثبته مختبراته ومعامله.

تساؤلات البحث:

ينطلق البحث من تساؤل رئيس يمكن بلورته في العبارة التالية:

– ما حقيقة آية انشقاق القمر لرسول الله ﷺ؟ وتتفرع عن هذا التساؤل عدة أسئلة فرعية أخرى، يمكن إيجاز أهمها فيما يلي:

– ما هي مجريات وقائع آية انشقاق القمر؟

– ما أحاديث انشقاق القمر التي تضمنتها كتب التفسير المأثورة؟

– ما تعريف الآية والمعجزة لغة واصطلاحًا؟

– ما أبرز شبهات منكري آية انشقاق القمر قديمًا وحديثًا عند المستشرقين والمنتسبين إلى العلم المادي؟

– ما أبرز ما رد به المفسرون شبهات منكري آية انشقاق القمر؟

الدراسات السابقة:

في حدود ما وسعني البحث والاستقصاء لم أقف على دراسة أو بحث حول موضوع هذا البحث وتحت عنوانه، إلا ما كان منثورًا في ثنايا كتب المفسرين، وهو الأمر الذي يشير إلى جدته، إضافة إلى أهميته وجدارته بالدراسة كما ألمحت الأسطر السابقة.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث منهجًا يقوم على المزج بين أكثر من منهج علمي، حرصًا على أدق الإحاطة وأوسعها بموضوع البحث وتفرعات مباحثه، على النحو الذي يمكن إجماله فيما يلي:

– اعتمدت بشكل أساسي على المنهج الاستقرائي، منطلقًا من آية انشقاق القمر في سورة القمر، ثم قمت بتتبع واستقصاء أبرز أقوال المفسرين حولها كما جاءت في كتب التفسير المأثورة والأحاديث وشروحها.

– استعنت بالمنهج التحليلي عند بسط أقوال المفسرين حول آية انشقاق القمر، لتحليلها علميًّا، نفاذًا من هذا التحليل إلى القطع بثبوت هذه الآية الكونية ورد وبطلان شبهات منكريها.

كما كنت حريصًا في سياق مجمل البحث على عدة أمور لا غناء للبحث العلمي عنها، والتي يتمثل أبرزها فيما يلي:

– عزوت الآيات القرآنية إلى سورها وذكرت اسم السورة ورقم الآية.

– تخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها الأصلية.

– تتبع أقوال المفسرين التي وردت في مدوناتهم.

– توثيق أقوال المفسرين التي تضمنتها مادة البحث من كتبهم.

– توثيق الأقوال الواردة في البحث.

– العناية بقواعد اللغة العربية، وقواعد الإملاء والخط وعلامات الترقيم.

خطة البحث:

حتى يحيط البحث بموضوعه في ضوء ما سبق من أسباب اختياره، ووجوه أهميته، وأهدافه، جاءت خطته على السياق التالي:

* **المقدمة:** وفيها التعريف بالموضوع، وأسباب اختيار وأهميته، وأهدافه، وأسئلته،

والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

* **التمهيد: التعريف بمفردات العنوان:** ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالآية والمعجزة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: التعريف بانشقاق القمر في اللغة والاصطلاح.

* **المبحث الأول: انشقاق القمر في ضوء المأثور.** وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ثبوت انشقاق القمر في ضوء الكتاب، والسنة النبوية، والإجماع.

المطلب الثاني: انشقاق القمر عند المفسرين.

* **المبحث الثاني: إنكار حدوث انشقاق القمر.** وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وجها الشغب حول آية انشقاق القمر.

المطلب الثاني: إنكار وقوع الحادثة مطلقًا.

المطلب الثالث: شبه الاعتراض والرد عليها.

* **المبحث الثالث: إنكار المستشرقين لآية انشقاق القمر.** وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشبهات حول إمكان المعجزة في نفسها.

المطلب الثاني: إنكار المستشرقين لحادثة انشقاق القمر.

المطلب الثالث: ذيول المستشرقين في إنكار الحادثة.

الخاتمة: وتضمنت أهم نتائج البحث وأبرز توصياته.

ثم المصادر والمراجع.

التمهيد

التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول: التعريف بالآية والمعجزة في اللغة والاصطلاح

أولا: التعريف بالآية في اللغة والاصطلاح: يستبين مفهوم الآية، ويُدقق مضمونها؛ من خلال الوقوف على تعريفها في اللغة، ثم في الاصطلاح، وذلك على النحو التالي:

تعريف الآية لغة: الآية في اللغة: العلامة الدالة على الشيء؛ قال ابن منظور: "أصل آية: أوية، بفتح الواو، وموضع العين واو، والنسبة إليه أووي، وقيل: أصلها فاعلة فذهبت منها اللام أو العين تخفيفا، ولو جاءت تامة لكانت آية. وقوله عز وجل: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ ﴾[1]؛ قال الزجاج: معناه نريهم الآيات التي تدل على التوحيد في الآفاق أي: آثار من مضى قبلهم من خلق الله"[2]. أما من حيث معنى الكلمة فقد ذكرت كتب اللغة أن آية تطلق على عدة معانٍ منها:

١- العلامة: كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾[3]، وسميت آية لأنها علامة لانقطاع الكلام.

---

(١) سورة فصلت آية: ٥٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٩١/٤).

(٣) سورة البقرة آية ٢٤٨.

٢- العبرة والعظة: كقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[١].

٣- الجماعة: كقولهم خرج القوم بآيتهم.

٤- الأمر العجيب: مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً [٢].

٥- الدليل والبرهان: كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾[٣].

٦ - المعجزة: مثل قوله - تعالى-: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[٤]"[٥]. ومن خلال هذه المعاني اللغوية لمادة آية نلاحظ أنها ترجع في جميع معانيها إلى معنى الدلالة المراد بها العلامة أو العبرة أو الجماعة أو الأمر العجيب أو الدليل والبرهان أو المعجزة[٦].

تعريف الآية في الاصطلاح: عرفها المناوي بأنها: العلامة الظاهرة[٧].

---

(١) سورة يوسف آية: ٧.

(٢) سورة المؤمنون آية: ٥٠.

(٣) سورة الروم آية: ٢٠.

(٤) سورة طه آية: ١٣٣.

(٥) لسان العرب (١٤/٦١ - ٦٣).

(٦) المحيط في اللغة (٢/٤٩٠).

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف، ص (٦٨).

ثانيًا: التعريف بالمعجزة في اللغة والاصطلاح: مصطلح المعجزة لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة النبوية الصحيحة، ولا في كلام أهل العلم من السلف، بل الذي ورد في القرآن الكريم: الآية، والبرهان، والسلطان، وغالب الورود لفظ الآية الدالة على المعجزة، كما في قوله سبحانه وتعالى في موسى عليه السلام: ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[١] سمَّاها آية ولم يسمِّها معجزة، لكن الحقيقة إطلاق أحدهما على الآخر لا مشاحة فيه.

المعجزة لغة: اسم فاعل من أعجز فلانا: وجده عاجزا، وصيره عاجزا. ويقال أيضا أعجزه الشيء: فاته؛ قال ابن فارس: «العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء»[٢]، فالمعجزة مأخوذة من العجز، وهو نقيض القدرة، والمعجِز في الحقيقة فاعل العجز، وهو: الله سبحانه وتعالى، وقد ألحقت التاء بها؛ لتنقلها من الوصفية إلى الاسمية[٣].

تعريف المعجزة اصطلاحًا: لأهل العلم عدة تعاريف للمعجزة، يرجع جميعها إلى الاختلاف في شروطها، والتفرقة بينها وبين غيرها من المفاهيم والمصطلحات مثل: الكرامة، والسحر، وما يلتحق بخوارق العادات. ومن هذه التعاريف ما يلي: عرف شارح الطحاوية المعجزة بأنها: الأمر الخارق للعادة[٤]، وعرفها الإيجي بأنها: «ما قصد به إظهار صدق من ادَّعى أنه رسول الله»[٥]،

---

(١) سورة النازعات آية: ٢٠.

(٢) ينظر: معجم المقاييس في اللغة، ص (٧٣٩) مادة (عجز).

(٣) ينظر: لسان العرب (٢٣٦/٧، ٢٣٧).

(٤) شرح الطحاوية، ص (٤٩٤).

(٥) ينظر: شرح المواقف، للجرجاني (٢٢٢/٨، ٢٢٣).

وعرفها الجويني بأنها: «فعل لله، خارقة للعادة، متحد بها، تظهر على وفق الدعوى، لا تتقدم على الدعوى، ولا تظهر مكذبة للنبي»[1].

وبتسريح النظر في التعاريف السابقة – على اختلافها: إيجازًا وإطنابًا – فقد اتفقت على أن المعجزة: أمر يراد به إثبات صدق النبي ﷺ، هذا الأمر بطبيعة الحال لا بد أن يكون خارجًا عن عادة الناس ومألوفهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن هذه الطريقة من أتم الطرق عند أهل الكلام والنظر، حيث يقررون نبوة الأنبياء بالمعجزات»[2].

(١) ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص (٢٦١- ٢٦٦).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الأصفهانية، ص (٧٧).

المطلب الثاني: التعريف بانشقاق القمر في اللغة والاصطلاح

من أيسر ما يمهد للإحاطة بموضوع ما؛ تعرف معناه ومفهومه في اللغة وفي الاصطلاح. وذلك ما نعمد إليه هاهنا؛ إذ نعرض لتعريف انشقاق القمر، وذلك من خلال جزأيه، فنبتدئ بتعريف الانشقاق في اللغة، ثم في الاصطلاح، لنعقب ذلك بتعريف القمر في اللغة ثم في الاصطلاح، وذلك على السياق التالي:

أولًا: تعريف الانشقاق لغةً واصطلاحًا:

– **الانشقاق لغة:** يتصرف الفعل (انشق) كالتالي: انشقَّ ينشقّ، انْشَقِقْ انْشَقَّ، انشقاقًا، فهو مُنشقّ. وانشقَّ الشَّيءُ: انفلق، انصدع أو انقسم "انشقّ الحائطُ– ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[١]، ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ ﴾[٢]". وانشقَّ الفجرُ: طلع وظهر. الشق: الخرم الواقع في الشيء. يقال: شققته بنصفين. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴾[٣]، ﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعًا ﴾[٤]، ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾[٥]، ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾[٦]، ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[٧].

---

(١) سورة القمر آية: ١.

(٢) سورة مريم آية: ٩٠.

(٣) سورة عبس آية: ٢٦.

(٤) سورة ق آية: ٤٤.

(٥) سورة الحاقة آية: ١٦.

(٦) سورة الانشقاق آية: ١.

(٧) المفردات في غريب القرآن، ص (٤٥٩).

- **الانشقاق اصطلاحًا:** لا يخرج معنى الانشقاق في الاصطلاح عن المعنى الذي أورده علماء اللغة؛ إذ المراد به هو الجرم الواقع في الشيء، أما باعتباره علمًا عن المعنى المراد هنا هو: انفصال القمر بعضه عن بعض حتى صار فرقتين.

ثانيًا: تعريف القمر في اللغة والاصطلاح:

- **تعريف القمر في اللغة:** قال ابن فارس: "القاف والميم والراء أصل صحيح يدل على بياض في شيء، ثم يفرع منه، من ذلك القمر: قمر السماء، سمي قمرًا لبياضه، وحمار أقمر، أي: أبيض، وتصغير القمر قمير، ويقال: تقمرته: أتيته في القمراء"(١).

- **المعنى الاصطلاحي للقمر:** القمر: جرمٌ سماويٌّ صغيرٌ يدور حول كوكب أكبر منه ويكون تابعًا له، ومنه القمر التابع للأرض، والأقمار التي تدور حول كواكب المريخ وزحل والمشتري(٢).

وبإحصاء ورود مادة (قمر) في القرآن الكريم يتبين أن تعداد ورودها هو سبع وعشرون مرة، ولم يرد لفظ القمر في القرآن الكريم في هذه المرات السبع والعشرين إلا بمعناه في اللغة، وهو ذلك الجرم السماوي المعروف التابع للأرض. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾(٣).

---

(١) مقاييس اللغة (٢٥/٥).

(٢) ينظر: القاموس الوسيط، مجمع اللغة العربية (٧٥٨/٢).

(٣) سورة يونس آية: ٥، وينظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص(٦٨٤).

ثالثًا: تعريف الاستشراق في اللغة والاصطلاح:

الاستشراق في اللغة: مأخوذ من الفعل: "شرق" على زنة "فعل" يقال: شرقت الشمس تشرق شروقًا وشرقًا أي: طلعت[١] وأشرقت: أضاءت، واسم الموضع: المشرق والشروق: جهة شرق الشمس[٢]، وشرَّق أخذ في ناحية الشرق، والشريق: المشرق جمعه شروق، وإذا أضيف إلى الفعل الألف والسين والتاء فإن المراد به يكون دالا على الطلب، فيكون استشراق أي: طلب دراسة كل ما يتعلق بالشرق[٣].

– **الاستشراق في الاصطلاح:** الاستشراق تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين: شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم وأرضهم، وحضاراتهم، وكل ما يتعلق بهم[٤]. ومفهوم الاستشراق غير واضح المعالم لدى المفكرين العرب والمسلمين؛ نظرا لاختلاف النظرة إليه، ما بين معجب شديد الإعجاب به إلى حد الانبهار، ورافض له مشكك فيه مهما اصطبغ بالصبغة العلمية. والاستشراق – كما يرى مالك بن نبى–: "علم يضم في رحابه الكتاب والمفكرين الغربيين الذين يتناولون الفكر الإسلامي ويخضعونه للدراسة والفحص، ويبحثون في الحضارة الإسلامية عن سبب ازدهارها، ثم كيفية تدهورها وعوامل ذلك"[٥]. والاستشراق في الواقع عبارة عن أيديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام، بصرف

---

(١) ينظر: لسان العرب (١/١٧٣)، مادة (شرق).

(٢) ينظر: المصباح المنير، ص (٤٢٢).

(٣) ينظر: الغزو الفكري أبعاده ومواجهته، د. عبد العزيز تمام يوسف، ص (١٣).

(٤) ينظر: مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، محمد البشير مغلي، ص (٤٠، ٤١).

(٥) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، مالك بن نبي، ص (٧).

النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق، أو مرتكزة على أوهام وافتراءات[1]. لهذا كان أقرب التعاريف للواقع هو التعريف القائل بأن الاستشراق هو اتجاه فكرى يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة.

(١) ينظر: الإسلام والاستشراق، د. محمود زقزوق، ص (٢١).

المبحث الأول

انشقاق القمر في ضوء المأثور

المطلب الأول: ثبوت انشقاق القمر في ضوء الكتاب، والسنة النبوية، والإجماع

تعددت المعجزات المادية التي وقعت لرسول الله ﷺ وكان من أكبرها إبهارًا وأقطعها برهانًا على صدق نبوته ﷺ آية انشقاق القمر، التي كانت حدثًا كونيًّا لا متسع لمنكر أن ينكرها إلا عن نقص عقل ومرض قلب. ولقد جاء النص على وقوعها في القرآن الكريم، وبلغ ورودها في كتب السنة النبوية حد التواتر، على النحو الذي يستحيل معه كذب ما ورد به. ومن القرآن الكريم الذي دل على ثبوت الانشقاق لنبينا ﷺ قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ ﴾[1]، أي: وقع انشقاقه، ويؤيده قول الله سبحانه وتعالى بعد ذلك بآية: ﴿ يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾، فإن ذلك ظاهر في أن المراد وقوع انشقاقه؛ لأن الكفار لا يقولون ذلك يوم القيامة، وإذا تبين أن قولهم ذلك إنما هو في الدنيا، يتبين وقوع الانشقاق، وأنه المراد بالآية التي زعموا أنها سحر[2]. فصارت هذه المعجزة الباهرة تأييدًا وتعزيزًا للنبي ﷺ؛ لأن الكفار طلبوا ذلك منه لإثبات صدق نبوته، ومع هذا كفروا وكذبوا بالحق لما جاءهم.

---

(١)سورة القمر الآيتان: ١-٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد (٩/٤٣٠).

وإن الناظر لفي غنى عن بعيد تأمل ليقف على ثبوت معجزة انشقاق القمر للنبي ﷺ كآية كونية جعلها الله – تعالى– ليؤيده بها ويهزم معانديه وجاحدي نبوته، وذلك من خلال تسريح النظر في ظلال البيان القرآن فائق التناسق مع ألفاظه كما في معانيه على السواء، فالله – تعالى– يقول في كتابه: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾، وهو صريح في أن الساعة لم تقع بعد، وإنما حالها اليقيني أنها اقتربت، ويقول: ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾، وهو صريح الصراحة ذاتها في أن الانشقاق قد وقع يقينًا، أخذًا من دلالة الفعل الماضي على حدوث الفعل، ومن عدم وجود قرينة نقلية تصرف الفعل الماضي عن دلالة تحققه وماضويته، وهي دلالته الظاهرة، ومن عدم وجود قرينة عقلية تجعل الانشقاق محالًا من المحالات. ويمضي البيان القرآني في اتساقه ألفاظًا ومعاني، إذ يقول تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ... ﴾[1]، فصريح ما يدل عليه هذا السياق هو الإشارة الجازمة إلى وقوع آية انشقاق القمر، ولا ينطوي على أدنى تناقض بين هذا المعنى وبين ما جاء بشأن هذه الآية من الأحاديث، وإن كانت جملة الأحاديث تقدم صورة مفصلة لوقائع هذه الواقعة ومجرياتها، في حين أن الآيات الكريمة قد أجملت بيان أن واقعة انشقاق القمر قد حدثت وأن القوم أنكروها. فكل حديث منها كأنما يقدم صورة أو مشهدًا للواقعة، وهي صور ومشاهد يتكون من تضام مجموعها الصورة الكاملة للحدث

(١) سورة القمر الآيتان: ٢-٣.

كما حدث، فتستقر في ذهن القارئ لها وقلبه نابضة بالحياة وبالواقعية، ولهذا جاءت السنة مؤيدة للقرآن الكريم ومبينة له من طريق جماعة من الصحابة منهم:

– ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقتين، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»(١).

– وعن أنس قال: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية «فأراهم انشقاق القمر»(٢).

– وعن علي بن أبي طالب قال: انشق القمر، ونحن مع رسول الله عليه السلام(٣).

– وعن عبد الله بن عباس قال: «انشق القمر في زمان النبي ﷺ»(٤).

– وعن ابن عمر قال: انفلق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»(٥).

– وعن جبير بن مطعم قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فصار فرقتين(٦).

---

(١)أخرجه البخاري (٢٠٦/٤) كتاب المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، حديث (٣٦٣٦).

(٢)أخرجه البخاري (٢٠٦/٤) كتاب المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، فأراهم، حديث (٣٦٣٧).

(٣)أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١٧٧/٢)، رقم (٦٩٦).

(٤)أخرجه البخاري (١٤٢/٦) كتاب التفسير، باب: ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ ﴾، حديث (٤٨٦٦) .

(٥)أخرجه مسلم (٢١٥٩/٤) كتاب صفة القيامة، باب: انشقاق القمر، حديث (٢٨٠١/٤٥).

(٦)أخرجه الترمذي (٣٩٨/٥) كتاب التفسير، باب: ومن سورة القمر، حديث (٣٢٨٩)، وأحمد (٨١/٤).

قال القرطبي في المفهم: وقد روى هذا الحديث جماعة كثيرة من الصحابة – رضي الله عنهم– منهم: عبد الله بن مسعود، وأنس، وابن عباس، وابن عمر، وحذيفة، وعلي، وجبير بن مطعم، وغيرهم. وروى ذلك عن الصحابة أمثالهم من التابعين، ثم كذلك ينقله الجم الغفير والعدد الكثير، إلى أن انتهى ذلك إلينا، وفاضت أنواره علينا، وانضاف إلى ذلك ما جاء من ذلك في القرآن المتواتر عند كل إنسان"[١]، وقال ابن كثير: "قد كان هذا في زمان رسول الله، كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة"[٢]. وقد نص الكتاني على تواتر الأحاديث الواردة في حادثة انشقاق القمر نقلًا عن التاج السبكي[٣]. ودلل المفسرون على ثبوت آية انشقاق القمر بإجماع الأمة، وهو من أبرز أدواتها العقلية لإثبات أمر من الأمور. وقد نص على هذا الإجماع كل من تصدى للحديث في شأن هذه الآية الكونية. ومن ذلك: قال الزجاج: أجمع المفسرون، ورَوينا عن أهل العلم الموثوق بهم أن القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ[٤]، وقال القاضي عياض: أجمع المفسرون وأهل السير على وقوعه[٥]. ونقل الإجماع أيضًا الحافظ العراقي في ألفيته في السيرة[٦]، قال الحافظ ابن حجر: "ووقع في نظم السيرة لشيخنا الحافظ أبي الفضل: وانشق مرتين بالإجماع، ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه ﷺ ، ولم يتعرض لذلك أحد من شراح

(١)المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤٠٣/٧).

(٢)تفسير ابن كثير (٤٧٢/٧).

(٣)نظم المتناثر، ص (٢٢٢).

(٤)معاني القرآن (٨١/٥).

(٥)الشفا (٥٤٣/١).

(٦)ألفية السيرة، ص (٥٩).

الصحيحين، وتكلم بن القيم على هذه الرواية فقال المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى والأول أكثر ومن الثاني انشق القمر مرتين، وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط فإنه لم يقع إلا مرة واحدة"[١].

المطلب الثاني: انشقاق القمر عند المفسرين

أسهب المفسرون واستفاضوا في الرد على شبهة استحالة انشقاق القمر لرسول الله ﷺ ودحضها، وحفلت تفاسيرهم ببسط بيان هذه المعجزة وإقامة الأدلة على وقوعها برد شبهات المنكرين لها والطاعنين فيها. ومن ذلك نوجز ما يلي: قال الطبري: قوله: ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[٢] يقول جلّ ثناؤه: وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذُكر على عهد رسول الله ﷺ وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فآراهم ﷺ انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوّته؛ فلما أراهم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمرّ، سحرنا محمد، فقال الله -جلّ ثناؤه-: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾[٣]. وهنا نرى أن شيخ المفسرين الإمام الطبري جزم بوقوع الحادثة والنبي ﷺ بمكة قبل هجرته للمدينة. وقال أبو إسحاق الزجاج: وزعم قوم عَنَدُوا عَنِ القَصْدِ وما عليه أهل العلم: أنَّ تاوِيله: أن القمر ينشق يوم القيامة، والأمر بين في اللفظ وإجْماعِ أهلِ العلم لأن قوله: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ

(١)فتح الباري (١٨٣/٧).

(٢) سورة القمر آية: ١.

(٣)سورة القمر آية: ٢، وينظر: جامع البيان (٥٦٥/٢٢).

﴿ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾ ، فكيف يكون هذا في القيامَةِ[1]. والإمام الزجاج رد هنا قول من قال أن القمر سينشق يوم القيامة، وقد احتج الزجاج عليه بأن الأمر بين في الآية، وإجماع أهل العلم. وقال الإمام الرازي: والمفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، وحصل فيه الانشقاق، ودلت الأخبار على حديث الانشقاق، وفي الصحيح خبر مشهور رواه جمع من الصحابة، وقالوا: سئل رسول الله ﷺ آية الانشقاق بعينها معجزة، فسأل ربه فشقه ومضى، وقال بعض المفسرين المراد سينشق، وهو بعيد ولا معنى له، والقرآن أدل دليل وأقوى مثبت له، وإمكانه لا يشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه، وحديث امتناع الخرق والالتئام حديث اللئام[2]. وكلام الإمام الرازي هنا يرتكز على إثبات وقوع الحادثة، والرد على من قال أن الانشقاق لم يقع بل سيقع يوم القيامة، كذلك رد قول المنكرين لحدوث الانشقاق مطلقًا. وقال الخازن: "هذه الأحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة، مع شهادة القرآن المجيد بذلك فإنه أدل دليل وأقوى مثبت له وإمكانه لا يشك فيه مؤمن، وقد أخبر عنه الصادق فيجب الإيمان به واعتقاد وقوعه"[3]. وقال السمين الحلبي: قوله تعالى: ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾: هذا ماض على حقيقته وهو قول عامة المسلمين، إلا من لا يلتفت إلى قوله، وقد صح في الأخبار أنه انشق على عهد رسول الله ﷺ مرتين. وقيل: انشق بمعنى: سينشق يوم القيامة، فأوقع الماضي موضع المستقبل لتحققه، وهو خلاف الإجماع[4]، وقال ابن كثير:

(١)معاني القرآن (٥/٨١).

(٢)مفاتيح الغيب (٢٩/٢٨٨).

(٣)لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/٢١٧-٢١٨).

(٤)الدر المصون (١٠/١١٩).

"وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات"(١). هكذا؛ فبمثل هذا البيان المفصل المؤصل الجلي أثبت علماء التفسير وأقاموا الحجة على ثبوت آية انشقاق القمر، كمعجزة كونية أجراها رب العزة – تعالت قدرته– لنبيه ﷺ لتأييده وإرغام منكري نبوته.

(١)تفسير القرآن العظيم (٤٧٢/٧).

المبحث الثاني

إنكار حدوث انشقاق القمر

المطلب الأول: وجها الشغب حول آية انشقاق القمر

كان من أبرز مظاهر غبار الأفكار الخاطئة لمنكري آية انشقاق القمر وما عملوا على إثارته من شغب ولغط؛ أن اتخذ هذا الشغب وجهين:

الوجه الأول: أن حديث القرآن الكريم عن هذه الآية إنما هو من باب الإخبار بأحداث يوم القيامة، فهذه الحادثة عندهم – أي: انشقاق القمر – لم تحدث، وإنما ستحدث وتقع قرب قيام الساعة.

الوجه الثاني: إنكار وقوع انشقاق القمر مطلقًا وبالكلية ومن الأساس.

أما أنه لم يقع بعد وإنما سيقع ذلك قرب قيام الساعة، فقد نسب هذا القول إلى الحسن البصري.

قال الحسن: "اقتربت الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية"[1]. وقول الحسن لم أجده منقولًا عنه في التفاسير المسندة، إنما ذكره بعض المفسرين المتأخرين عن الحسن معلقًا دون سند إليه.

وكان هذا القول محل نظر كبير من وجهين: ثبوته عن الحسن البصري، والقول في ذاته، حيث تشكك أهل العلم في ثبوته عن الحسن، وأما فحوى القول نفسه فهو محل إنكار عندهم. ومن ذلك قال الكرماني: الغريب بل العجيب قول الحسن: هذا مما يكون في القيامة[2]. ويتفق ابن الجوزي مع هذا النظر الصحيح؛ إذا يقول: "وهذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع، ولأن قوله: وانشق لفظ ماض.

---

(١)تفسير القرطبي (١٢٦/١٧).

(٢)غرائب التفسير (١١٦١/٢).

وحمل لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك موجودًا. وفي قوله: وإن يروا آية يعرضوا دليل على أنه قد كان ذلك"[١]، وبعبارة وجيزة لا تصيب من الحقيقة إلا لبابها ونخاعها، يقول الزمخشري في الرد على هذا الوجه من إنكار آية انشقاق القمر: "وعن بعض الناس: أن معناه ينشق يوم القيامة، وقوله: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[٢] يردّه، وكفى به رادّا"[٣]. ويعبر الآلوسي عن هذا الاعتراض بقوله: "روي عن الحسن أنه قال: هذا الانشقاق بعد النفخة الثانية، والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع، وروي ذلك عن عطاء أيضًا"[٤]، وإن سوق آية انشقاق القمر والتعبير عنها بصيغة الفعل الماضي لمن أثبت ما يثبت حصولها ويدل على أن الإخبار عنها إنما هو على معنى حكاية الواقع لا على محمل الحديث عما سوف يقع. فالأصل هو أخذ اللفظ القرآني وحمله على ظاهره ما لم توجد قرينة تعارض هذا الظاهر، سواء أكانت هذه القرينة حقيقة يثبتها الإجماع أو المعلوم بالضرورة، أم كانت من بدهيات العقل وحقائقه المجردة التي لا تنازع فيها ولا ريب. واستقاء من ذلك فإن مما يقال عن آية انشقاق القمر هو أنها قد وقعت حقًّا ويقينًا وعيانًا لا لبس فيه في عصر النبي ﷺ، إذ جاء التعبير القرآني بصيغة الفعل الماضي الدال على وقوع الفعل في زمن سبق القول. أما ليّ هذه الحقيقة لصرفها أو تأويلها أو تخريجها على إرادة المستقبل وأن هذا الانشقاق سوف يقع، فليس ذلك إلا صرفًا للفظ القرآني عن ظاهره بلا صارف أو مسوغ يوجب ذلك، وهو مما حاصله أن اللفظ القرآن أريد به

(١)زاد المسير (٨٨/٨).

(٢) سورة القمر آية: ٢.

(٣) تفسير الزمخشري (٤٣١/٤).

(٤) تفسير الألوسي (٧٦/١٤).

غير ظاهره. وتابع الحسن على ذلك أبو بكر الأصم بأن القمر سينشق عند الساعة؛ إذ لو كان قد انشق في زمن النبي ﷺ، لَمَا خفي على أهل الآفاق، ولو كان ظاهرا عندهم، لتواتر النقل به؛ إذ هو أمر عجيب، والطباع جبلت على نشر العجائب[1]. وقال الشيخ محمد أبو زهرة: إن انشقاق القمر ثبت بلفظ الماضي مما يدل على حكاية الواقع، لا ذكر المتوقع، فإن اللفظ القرآني يؤخذ بظاهره ما لم توجد قرينة من حقيقة ثبتت بالإجماع والعلم الضروري، وعلى ذلك نقرر أنه وقع في الماضي في عصر النبي ﷺ؛ لأن قول الله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[2] عبر عن انشقاق القمر بلفظ الماضي الدال على الوقوع في زمن مضى، وتخريجها على أن الماضي أريد به المضارع، وأنه سينشق، تخريج للفظ بغير ظاهره الذي دل عليه القرآن الكريم بظاهره، لابد له من مسوغ يوجب ذلك التخريج، ويكون قرينة دالة على أن اللفظ أريد به غير ظاهره[3].

المطلب الثاني: إنكار وقوع الحادثة مطلقًا

كثرت صنوف منكري آية انشقاق القمر وطوائفهم. ونتوقف في هذا المطلب إزاء بعض منها، وعلى رأسهم المعتزلة والدهرية والفلاسفة الملاحدة.

– **إنكار بعض المعتزلة:** من أبرز المعتزلة الذين أنكروا آية انشقاق القمر "إبراهيم النظّام"؛ الذي قال: زعم ابن مسعود أن القمر انشق وأنه رآه. وهذا من الكذب الذي لا خفاء به؛ لأن الله تعالى لا يشق القمر له وحده ولا لآخر معه؛ وإنما يشقه ليكون آية للعالمين وحجة للمرسلين، ومزجرة للعباد، وبرهانا في جميع

(١)تفسير الماتريدي (٩/٤٤١).

(٢) سورة القمر آية: ١.

(٣) خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم (١/٤١٠).

البلاد، فكيف لم تعرف بذلك العامة، ولم يؤرخ الناس بذلك العام، ولم يذكره شاعر، ولم يسلم عنده كافر، ولم يحتج به مسلم على ملحد[١]. وهذا قول شنيع جدًّا من النظام؛ إذ لجأ فيه لإنكار الحادثة تكذيب الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، وهذا ديدن المعتزلة فإنهم لا يستنكفون أن يردوا الأحاديث الصحيحة الثابتة وتكذيب الصحابة الناقلين لها في سبيل الانتصار لعقولهم. ومصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[٢]؛ فقد جاء الرد على هذا الحديث الداحض وإبطاله من أحد كبار المعتزلة أنفسهم، وهو القاضي "عبد الجبار المعتزلي" الذي قال في تثبيت النبوة: باب آخر: ما كان بمكة من انشقاق القمر. وهو ما كان بمكة من انشقاق القمر؛ فإن رسول الله ﷺ مرّ بمكة في ليلة قمراء ومعه نفر من أصحابه، فاجتاز بنفر من المشركين، فقالوا له: يا محمد، إن كنت رسول الله كما تزعم فاسأل ربك أن يشقّ هذا القمر، فسأل الله ذلك فشقّه، فقال المشركون: ساحروا بصاحبكم من شئتم فقد سرى سحره من الأرض إلى السماء. فنزلت القصة في ذلك. وهذا من الآيات العظام والبراهين الكرام على صدقه ونبوته ﷺ. فإن قيل: ومن أين لكم أن القمر قد انشقّ له كما ادّعيتم؟ أتعلمون ذلك ضرورة أم بدلالة؟ أو ليس النظام قد شك في هذا وقال: لو كان قد انشقّ لعلم بذلك أهل الغرب والشرق لمشاهدتهم له؟ وهذا شيء سيكون عند قيام الساعة ومن أشراط القيامة، فبأي شيء تردّون قوله وتبيّنون غلطه إن كان قد غلط؟ قيل له: ما نعلم ذلك ضرورة ولكن نعلمه بدلالة، فمن استدلّ عرف، ومن لم يستدلّ لم يعرف، ومن قصر عن الاستدلال والنظر غلط كما غلط إبراهيم النظّام. فوجه الدلالة على

---

(١)ينظر: تأويل مختلف الحديث (٧٠-٧١).

(٢) سورة المدثر آية: ٣١.

ذلك أن رسول الله ﷺ قد احتج بذلك على المسلمين والمشركين وتلا هذا القول عليهم من سورة القمر: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾. ولم يكن ليقدم ويحتج على العدو والوليّ بما لا حاجة فيه، ويشير إلى أمر ظاهر يشار إليه ويشاهده الناس، فلو أراد أن يكذّب ويردّ قوله ما زاد على هذا؛ هذا لا يقع من عاقل ولا يختاره محصل كائنا من كان، فكيف يقع ممن يدّعي النبوة والصدق وهو أشد حرصا بالناس كلهم على تصديقه واتباعه؟ فلو أراد أن يكذبوه ويردوا قوله ما زاد على هذا، وهذا لا يذهب على متأمل. فإن قيل: فما تنكرون على من قال أنه ﷺ ما احتج بهذا على نبوته؟ قيل له: لا فرق بين من ادّعى ذلك أو ادّعى في جميع ما أتى به من القرآن وغيره أنه ما احتج بشيء من ذلك على صدقه ونبوته. ومما يزيدك علما بذلك ويبين لك غلط النظّام وجهل كل من ذبّ عن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ ﴾ ، فانظر كيف قال: اقتربت الساعة، وأخبر عن أمر قد كان ومضى، ثم قال على نسق الكلام: ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾، فجاء بأمر قد كان وانقضى ومضى فنسق على الماضي بالماضي، ولو كان على ما ظنّ النظّام لقال: اقتربت الساعة وانشقاق القمر، أو كان يقول وسينشق القمر، فلما لم يقل ذلك وقال: وانشقّ القمر، علمت أنه أخبر عن شيئين واقعين قد وقعا وكانا وحصلا. ثم قال على نسق الكلام: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ ، فأخبر أنها آية مرئية وحجة ثابتة. ثم قال على نسق الكلام: «ولقد

جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر. حكمة بالغة فما تغني النّذر»، وهذا لا يقال فيما لم يقع ولم يكن. فتأمل هذا التقريع والتعنيف لتعلم أنه أمر قد كان، ولا يسوغ أن يقال في أمر لم يكن، ولم يقع هذا القول. وأيضا فإن ما يقع في القيامة وعند قيام الساعة لا يكون حجة على المكلفين، ولا يعنّفون في ترك النظر والتأمل له، فإن التكليف حينئذ زائل مرتفع. فأما قول النظّام: فلم لا يشاهد هذه الآية كل الناس، فليس هذا بلازم، لأن الناس لم يكونوا من هذا على ميعاد وإنما هو شيء حدث ليلا وما كان عندهم خبر بأنه سيحدث وسيكون في وقت كذا فينظرونه، وإذا كان كذلك فقد بطل ما ظنه. يزيدك بيانا أن القمر قد ينكسف كله فلا يرى ذلك من الناس إلا الواحد بعد الواحد والنفر اليسير لنومهم، فكيف بانشقاق القمر الذي انشق ثم التأم من ساعته بعد أن رآه أولئك القوم الذين طلبوه. وأيضا فقد يجوز أن يحجبه الله عز وجل لمصالح العباد إلا عن أولئك القوم؛ لأنه قد يجوز أن يكون في بعض البلاد من المكذبين والمحتالين في تلك الساعة من لو رأى ذلك لقال: إنما انشق شهادة لي على صدقي، ولا يكون ما ذكره النظّام قد جاء في ذلك من هذا الوجه أيضًا، وبطل ما توهمه. ومدار الأمر أن يكون هذا أمرا قد كان، وقد ذكرنا الدلالة على كونه فلا عذر لمن شك فيه ومن الدلالة أيضًا أن ذلك قد كان، أن الصحابة بعد رسول الله ﷺ قد تذاكروه فما فيهم مَنَ شك ولا ارتاب ولا توقف، بل وقع إجماع منهم على كونه ووقوعه، فلا معتبر بمن جاء بعدهم ممن خالفهم[1]. وإذا كان البحث قد أفرد هذا الحيز الكبير لهذا النقل عن عبد الجبار المعتزلي، فذلك إنما لما فيه من معنى "أهل مكة أدرى بشعابها"؛ إذ إنه بحسبانه عمدة في المذهب المعتزلي فإن كلامه في إبطال تدليس المعتزلي الآخر "النظام" لا ريب يكون ذا وقع أوقع بمن يرى هذا النظر المختل.

(١)تثبيت دلائل النبوة (١/٥٥-٥٨).

- **إنكار الدهرية والفلاسفة:** قال القاضي عياض: "أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه، وأخبر عن وجوده، ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل.. وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، ولا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين.. ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين"(١)، وقال أيضًا: "انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ، وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم، مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها"(٢). وفند شيخ الإسلام ابن تيمية شبهة الدهرية؛ إذ يقول: "ويزعم الدهرية أن الأفلاك لا يجوز عليها الانشقاق، كما ذكر ذلك أرسطو وأتباعه وزعموا أن الانشقاق يقتضي حركة مستقيمة وهي ممتنعة بزعمهم في الفلك المحدد إذ لا خلاء وراءه عندهم، وهذا لو دل فإنما يدل على ذلك في الفلك الأطلس لا فيما دونه، فكيف وهو باطل؟ فإن الحركة المستقيمة هناك بمنزلة جعل الأفلاك ابتداء في هذه الأحياز التي هي فيها - سواء سمي خلاء أو لم يسم - كما هو مذكور في غير هذا الموضع. والمقصود هنا أنه تعالى أخبر بانشقاق القمر مع اقتراب الساعة ؛ لأنه دليل على إمكان انشقاق الأفلاك، وانفطارها الذي هو قيام الساعة الكبرى، وهو آية على نبوة محمد ﷺ الذي هو من أشراط الساعة، والله تعالى في كتابه يجمع بين ذكر القيامة الكبرى والصغرى، كما في سورة الواقعة ذكر في أولها القيامة الكبرى، وفي آخرها القيامة الصغرى، وذلك كثير في سور القرآن مثل سورة ق، وسورة القيامة، وسورة التكاثر، وسورة الفجر، وغير ذلك، وقد استفاضت الأحاديث بانشقاق القمر"(٣). وقال: "ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة، أنه لو لم يكن انشق لأسرع المؤمنون

---

(١)الشفاء (٤٩٥/١).

(٢)شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٣/١٧، ١٤٤).

(٣)الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤٢٣/١-٤٢٤) .

به إلى تكذيب ذلك، فضلا عن أعدائه الكفار، والمنافقين، ومعلوم أنه كان من أحرص الناس على تصديق الخلق له، واتباعهم إياه، فلو لم يكن انشق لما كان يخبر به ويقرؤه على جميع الناس، ويستدل به، ويجعله آية له"[١]. وتابع تفنيد شبهتهم بقوله: "وانشقاق القمر قد عاينوه وشاهدوه وتواترت به الأخبار، وكان النبي ﷺ يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار مثل الجمع والأعياد ؛ ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار، وكل الناس يقر ذلك ولا ينكره، فعلم أن انشقاق القمر كان معلوما عند الناس عامة"[٢]، وقال في موضع آخر: "وآياته ﷺ المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع، الأول منها: ما هو في العالم العلوي كانشقاق القمر، وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة لما بعث، كمعراجه إلى السماء، فقد ذكر الله انشقاق القمر، وبين أن الله فعله، وأخبر به لحكمتين عظيمتين: إحدهما: كونه من آيات النبوة، لما سأله المشركون آية، فأراهم انشقاق القمر، والثانية: أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السماوات، ولهذا قال تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾[٣]"[٤].

وبين الحافظ ابن حجر فساد قول الفلاسفة بقوله: "وقد أنكر جمهور الفلاسفة انشقاق القمر متمسكين بأن الآيات العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام ، وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الإسراء إلى غير ذلك من إنكارهم ما يكون يوم القيامة من تكوير الشمس وغير ذلك، وجواب هؤلاء إن كانوا كفارا أن يناظروا أولا

---

(١)السابق.

(٢)الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤١٤/١).

(٣) سورة القمر، آية: ١.

(٤)الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٥٩/٦-١٦٠).

على ثبوت دين الإسلام ثم يشركوا مع غيرهم ممن أنكر ذلك من المسلمين، ومتى سلم المسلم بعض ذلك دون بعض ألزم التناقض، ولا سبيل إلى إنكار ما ثبت في القرآن من الانخراق والالتئام في القيامة، فيستلزم جواز وقوع ذلك معجزة لنبي الله ﷺ ، وقد أجاب القدماء عن ذلك فقال أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر ولا إنكار للعقل فيه؛ لأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم البعث ويفنيه. وأما قول بعضهم لو وقع لجاء متواترا واشترك أهل الأرض في معرفته ولما اختص بها أهل مكة، فجوابه أن ذلك وقع ليلا وأكثر الناس نيام والأبواب مغلقة وقل من يراصد السماء إلا النادر وقد يقع بالمشاهدة في العادة أن ينكسف القمر وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل ولا يشاهدها إلا الآحاد فكذلك الانشقاق كان آية وقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا فلم يتأهب غيرهم لها ويحتمل أن يكون القمر ليلتئذ كان في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يظهر الكسوف لقوم دون قوم"[1].

المطلب الثالث: شبه الاعتراض والرد عليها

حوّم منكر آية انشقاق القمر حول جملة من الشبهات الخاوية الضعيفة، ومن أبرزها كانت الشبهتان الآتيتان:

– إن حادثة انشقاق القمر لو حدثت للزم مشاركة جميع أهل الأرض في رؤية ذلك وإدراكه.

– أن المؤرخين لم يذكروا حادثة الانشقاق في تواريخهم.

(١)فتح الباري (٧/١٨٥).

ولـم تلـق هاتـان الشـبهتان الداحضـتان كبيـر عنـاء مـن أهـل العلـم والأئمـة والمفسرين والحفاظ في الرد عليها.. ومن ذلك: قول أبي إسحاق الزجاج الذي نقله الحافظ ابن حجر كما سبق(١). وقال الخطابي: "انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شي من آيات الأنبياء صلوات الله عليهم وذلك أنه أمر ظهر في ملكوت السماء خارج عن جملة طباع ما في العالم المُركَّب من الطبائع الأربع فيطمع في نيله بحيلة وعلاج وتأليف وتركيب ونحوها من الأمور التي يتعاطاها المحتالون ويتصنَّع لها المُتكلفون فلذلك صار الخطب فيه أعظم والبرهان به أظهر وأبهر، وقد أنكر هذا الخبر منكرون وقالوا: لو كان له حقيقة لم يجز أن يخفى أمره على عوامِّ الناس ولتواترت به الأخبار عن قرن إلى قرن؛ لأنه أمر مصدره عن حسٍّ ومشاهدة؛ فالناس فيه شركاء وهم مطالبون بفطر العقول. ومن جهة دواعي النفوس بذكر كل أمر عجيب ونقل كل خبر غريب، فلو كان لما روي من ذلك أصلٌ لكان قد خُلِّد ذكره في الكتب ودوِّن في الصحف ولكان أهل السِّير وأهل التنجيم والحفظة على الأزمان وأهل العناية بالتاريخ يعرفونه؛ ولا ينكرونه؛ إذ كان لا يجوز الإطباق منهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه وجلاء أمره. والجواب: أن الأمر في هذا خارج عمَّا ذهبوا إليه من قياس الأمور النادرة الغريبة إذا ظهرت لعامّة الناس واستفاض العلم بها عندهم؛ وذلك أن هذا شيء طلبه قوم خاصٌّ من أهل مكة على ما رواه أنس بن مالك، فأراهم النبي ﷺ ذلك ليلا، لأن القمر آية الليل ولا سلطان له بالنهار، وأكثر الناس في الليل تنام ومُستكنُّون بأبنية وحجب، والأيقاظ البارزون منهم في البوادي والصَّحارى، قد يتفق أن يكونوا في ذلك الوقت مشاغيل بما يُلهيهم من سمر وحديث وبما يهمّهم من شغل ومهنة ولا يجوز أن يكونوا لا يزالون مقنعي رؤوسهم رافعين لها إلى السماء مترصِّدين مركز القمر من

(١)ينظر: فتح الباري (١٨٥/٧).

الفلك لا يغفلون عنه حتى إذا حدث بجرم القمر حدثٌ من الانشقاق أبصروه في وقت انشقاقه قبل التئامه واتِّساقه، وكثيرًا ما يقع للقمر الكسوف فلا يشعر به الناس حتى يخبرهم الآحاد منهم والأفراد من جماعتهم؛ وإنما كان ذلك في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر، ولو أحبّ الله أن تكون معجزات نبيّه عليه السلام أمورًا واقعةً تحت الحسِّ قائمةً للعيان حتى يشترك في معاينته الخاصة والعامة لفعل ذلك، ولكنه سبحانه قد جرت سُنَّته بالهلاك والاستئصال في كل أمّة أتاها نبيُّها بآيةٍ عامة يُدركها الحسُّ فلم يؤمنوا بها وخصَّ هذه الأمة بالرحمة فجعل آية نبيها التي دعاهم إليها وتحدَّاهم بها عقليَّة؛ وذلك لما أُتوُه من فضل العقول وزيادة الأفهام ولئلا يهلكوا فيكون سبيلهم سبيل من هلك من سائر الأمم المسخوط عليهم المقطوع دابرهم؛ فلم يبق لهم عين ولا أثرٌ، والحمد لله على لطفه بنا وحسن نظره لنا وصلى الله على نبيه المصطفى وعلى آله وسلم كثيرًا"[1].. وهكذا، نرى كيف مضت العقول النيرة والقلوب المستقيمة لأهل العلم من المفسرين والحفاظ تطلق أشعة أنوارها على شبهات أهل الزيغ والضلال من منكري آية انشقاق القمر للنبي الكريم ﷺ، فإذا هي داحضة زاهقة، وإذا هي تتكشف عن جوهرها الحقيقي، وأنها ليست شبهًا بالمعنى الدقيق ولا بالمعنى العلمي القائم على حجج وأدلة، وإنما هي محض مشاغبات ولغط ولغو، ليس وراءها إلا قصد الطعن في الإسلام بالباطل والبهتان والإفك الجلي.

(١)أعلام الحديث، للخطابي (١٦١٨/٣-١٦٢٠).

المبحث الثالث

إنكار المستشرقين لآية انشقاق القمر

المطلب الأول: الشبهات حول إمكان المعجزة في نفسها

اعتصم بعض العلمانيين والمتفلسفين المتسفسطين في إنكارهم لآية انشقاق القمر بقالة الاستحالة؛ لأن مثل هذه الآية – في نظرهم المضطرب- هي أمر خارق للعادة، وتجويز خرق العادة سفسطة وتمويه؛ لأنه لو جاز لجاز انقلاب الجبل ذهبًا! وماء البحر عسلًا! وأواني البيت رجالًا! وهلم جرًّا، وهذا يؤدي إلى الخلط والإخلال بالقواعد المتعلقة بالتشريع؛ إذ يجوز أن يكون الآتي بالأحكام الشرعية في الأوقات المتفرقة أشخاصًا مماثلين للذي ثبتت نبوته بالمعجزة، كما يجوز أن يكون الشخص الذي تطلب منه دينك غير الذي عليه الدين، وهكذا. وحيث كان تجويز خرق العادة مؤديا إلى مثل هذه المفاسد، فهو ممتنع ومحال[١].

والجواب عن ذلك – يوجز بما يلي:

أولًا: أن خرق العادة ليس بأعجب من خلق السموات والأرض، وما بينهما، والجزم بعدم وقوع بعض الخوارق – كما في الأمثلة المتقدمة- لا ينافي إمكانها في نفسها[٢].

ثانيًا: أن معنى كون المعجزة خارقة للعادة أنها مخالفة للسير الطبيعي المعروف في إيجاد الحوادث، وفيما جرت عليه عادة الله بحسب ما يظهر لنا في خلق الكائنات، وهذا لم يقم دليل على استحالته، بل دلت الحوادث الكونية على وقوعه، كما يُشَاهد في الحوادث التي يقول عنها العلماء: إنها من فلتات الطبيعة،

---

(١) ينظر: بغية الراغبين، ص (٤٣).

(٢) ينظر: السابق.

فذلك الأمر الخارق ممكن[١].

ثالثًا: أننا نجزم بأن صانع الكون قادر مختار، يوجد من الكائنات ما يشاء إيجاده، فبالضرورة نجزم بأنه لا يُمتنع عليه أن يحدث الحادث على أية هيئة، وتبعًا لأي سبب، إذا سبق في علمه أنه يحدثه كذلك، حيث كان من الممكنات، ومن متعلقات قدرته[٢].

رابعًا: أن ما ذكره هؤلاء الفلاسفة والعلمانيون من لزوم تجويز انقلاب الجبل ذهبًا – أمر لا يقدح لزومه في إمكان وقوع المعجزة؛ إذ لا يلزم من تجويز هذه الأمور التي ذكروا وقوعها بالفعل، وعلى فرض وقوع شيء منها، فإنه لا يضر، وأيُّ ضرر يترتب على انقلاب جبال الدنيا كلها ذهبًا؟!![٣].

خامسًا: أن ما ذكره هؤلاء الفلاسفة والعلمانيون من أنه يجوز أن يكون الشخص الذي تطلب منه دينك غير الذي عليه الدين – يجاب عنه بأن ذلك الجواز، وإن كان قائمًا لكنه لم يقع، ولا يقدح في الأمر الواقع، وهو عدم التبدل المستند إلى الحس الموثوق بشهادته، كما في سائر المحسوسات، فإننا نجزم بحصول الجسم المعين في المكان المعين جزمًا مطابقًا للواقع، لا تتطرق إليه شبهة؛ لكونه محسوسًا، وهذا الجزم لا يقدح فيه تجويز عدم الحصول أصلًا؛ لأن الجزم بالحصول باعتبار المشاهدة والحس، وتجويز العدم باعتبار الذات، وكيف تؤثر مثل هذه التشكيكات في الأمور الواقعة والحقائق المشاهدة؟![٤].

سادسًا: أما زعم الفلاسفة – ومن حذا حذوهم من العلمانيين – جواز صدور

---

(١) ينظر: السابق.

(٢) ينظر: السابق.

(٣) ينظر: بغية الراغبين، ص (٤٣).

(٤) ينظر: السابق.

الشريعة على أيدي أشخاص مماثلين للذي ثبتت نبوته بالمعجزة، فممنوع؛ لأن الله قد أرسل الرسل لهداية العباد، وتجويز هذا الأمر يؤدي إلى ضلال الناس لا إلى هدايتهم، فيكون مناقضًا للحكمة التي من أجلها كانت البعثة، فيكون مستحيلًا لذلك، لا لأن خرق العادات مستحيل.

– الشبهات حول دلالة الآية والمعجزة على صدق مدعي النبوة[١]:

من الفلاسفة والعلمانيين من أنكروا كون المعجزة دليلًا على صدق مدعي النبوة، وساقوا لذلك بعض الشبهات، فيما يلي بيانها وبيان الجواب عنها:

الشبهة الأولى: أنه يجوز أن تكون المعجزة من فعل من ظهرت على يديه، لا من فعل الله تعالى، وحينئذ فلا تكون منزلتها منزلة التصديق له من الله تعالى، وإنما جاز كونها من فعله مع كون غيره عاجزًا عنها، إما لمخالفة نفسه لسائر النفوس البشرية في الماهية؛ فيجوز حينئذ أن يصدر عنها ما يعجز عنه غيرها من بقية النفوس، أو لمزاج خاص في بدنه أقوى من أمزجة أقرانه؛ فيقوى به على فعل يعجز عنه غيره، وإن توافقا في الماهية. والجواب المفحم لهذه الشبهة: بأنه لا مؤثر في الوجود إلا الله سبحانه وتعالى، فالمعجزة لا تكون إلا فعلًا له لا للمدعي.

الشبهة الثانية: أنه يجوز إسناد المعجزة إلى بعض الملائكة، فإنها قادرة على أفعال غريبة، فلعل ملكًا أظهر ما يعجز عنه البشر على يد المتنبئ؛ ليقوي الناس، أو يجوز استنادها إلى الشياطين، فإنها قادرة على أفعال خارقة للعادة فلا تكون حينئذ دالة على صدق مدعي النبوة[٢].

ويجاب عن هذه الشبهة: أنه لا خالق إلا الله تعالى، فلا تكون المعجزة مستندة إلى غيره.

---

(١) ينظر: السابق.

(٢) ينظر: بغية الراغبين، ص (٤٣).

الشبهة الثالثة: أنه يجوز أن يكون الخارق الظاهر كرامة لا معجزة، فلا يكون له دلالة على الصدق.

ويجاب عنها: بأن من العلماء من لم يجوِّز الكرامة، ومن ثم فلا إشكال عليه، وأما من جوزها فإنه يقول في الجواب: لا تقع الكرامة على القصد والاختيار، بل وقوعها اتفاقي فقط. قال القاضي: «تجوز الكرامة إذا لم تقع على طريق التعظيم والجلال؛ لأن ذلك ليس من شعار الصالحين، ومع ذلك تمتاز الكرامة عن المعجزة بأنها مع دعوى الولاية دون النبوة، وعلى التقادير كلها؛ فالفرق بينها وبين المعجزة ظاهر، فلا تشتبه إحداهما بالأخرى»[1].

الشبهة الرابعة: أنه وإن سلم أن الآية من فعل الله تعالى، لكنها ليست تصديقًا منه للمدعي؛ إذ لا غرض واجبٌ في أفعاله تعالى، وعلى تقدير وجوبه، لا يتعين التصديق له؛ لكونه غرضًا من تلك المعجزة؛ إذ لعل الغرض منها غير التصديق له، أو تكون لتصديق نبي آخر موجود في جانب آخر، أو تكون إرهاصًا لنبي سيأتي بعد، كالأحوال الظاهرة على النبي ﷺ قبل مبعثه، وكالنور الذي كان في جبين آبائه.

ويجاب عن ذلك: بأن القائلين بأن الآية دليل على صدق مدعي النبوة لا يقولون بأن خلق المعجزة لغرض التصديق؛ لأن أفعاله تعالى عندهم غير معللة بالأغراض، بل يقولون: إن خلق المعجزة على يد المدعي يدل على تصديق له قائم بذاته تعالى، كما أن حمرة الخجل تفيد العلم الضروري بحصوله، مع جواز حصول الخجل بدون هذه الحمرة.

الشبهة الخامسة: قال الفلاسفة: لعل التحدي الصادر عن المدعي لم يبلغ من

---

(١) ينظر: المواقف (٣/٣٧١).

هو قادر على المعارضة في بعض الأقطار؛ وبذلك لا تتم المعجزة، ولا تكون دليلًا على صدق المدعي(١).

والجواب عن هذه الشبهة: أنه إذا أتى مدعي النبوة بما يُعلم بالضرورة أنه خارق للعادة، وعجز من في قطره عن المعارضة – عُلم ضرورةً صدقُه في دعواه.

الشبهة السادسة: قالوا: لعل القادر على المعارضة تركها مواطأة مع المدعي في إعلاء كلمته؛ لينال من دلالته حظًّا وافرًا، أو لعلهم استهانوا به أولًا، فظنوا أن دعوته مما لا يتم ولا يلتفت إليه، فلم يشتغلوا بمعارضته في ابتداء أمره، وخافوه آخِرًا؛ لشدة شوكته، وكثرة أتباعه، أو شغلهم ما يحتاجون إليه في تقويم معيشتهم عنه(٢). ويجاب عن تلك الشبهة: بأن من طبائع الأمور أن تكون هناك معاجلة ومبادرة معارضة من يدعي الانفراد بأمر جليل فيه التفوق على أهل زمانه، واستتباعهم، والحكم عليهم في أنفسهم وأموالهم، كما يعلم بالضرورة – أيضًا – عدم الإعراض عن المعارضة في مثل هذا الأمر، بحيث لا يتوجه أحد نحو الإتيان بالمعارضة أصلًا، والقدح في ذلك سفسطة ظاهرة.

الشبهة السابعة: قالوا: لعل المدعي قد عُورِض ولم يظهر ذلك؛ لمانع منع المعارض عن إظهار ما عارض به، أو ظهر ثم أخفاه أصحابه عند استيلائهم وغلبتهم على الناس المخالفين لهم، وطمسوا آثاره حتى انمحى بالكُلية. وجواب تلك الشبهة: أن العادة إذا كانت قد أعلمت وجوب المعارضة على تقدير القدرة عليها، علم بالعادة – أيضًا – وجوب إظهارها؛ إذ به يتم المقصود، واحتمال المانع للبعض في بعض الأوقات والأماكن لا يوجب احتماله في جميعها، بل هذا معلوم الانتفاء بالضرورة العادية، فلو وقعت معارضته؛ لاستحال – عادة – إخفاؤها، لا

(١) ينظر: بغية الراغبين، ص (٤٥).

(٢) ينظر: السابق، ص (٤٥).

فرق في ذلك بين أصحاب المدعي وغيرهم، فاندفعت الاحتمالات كلها، وثبتت الدلالات القطعية. أما الجواب الذي يتسع ليلقف كل لغو هذه الشبه وترهاتها فهو أنه لا تعارض ولا مضارة بين التجويز العقلي وبين اليقين المكتسب من العادة.

- الشبهات حول العلم بحصول الآية:

كان لبعض المتفلسفين ومن جاراهم من رافعي راية المادية قسم آخر من الشبهات حول العلم بحصول الآية الكونية المعجزة، وكان مدار هذا القسم من الشبهات حول إمكان حصول العلم بالتواتر، وعدم حصوله؛ وذلك لأنهم قالوا: العلم بحصول الآية لا يمكن لمن لم يشاهد هذه الآية إلا بالتواتر، والتواتر لا يفيد العلم فلا يحصل علم بمعجزة. وقد أقام هؤلاء المشككون عدم إفادة التواتر للعلم على طائفة من الشبهات، سنعرض لها ونعرض للجواب عنها[1]:

الشبهة الأولى: أن أهل التواتر يجوز الكذب على كل واحد منهم؛ فكذا الكل يجوز عليه الكذب؛ إذ ليس كذب الكل إلا كذب كل واحد منهم. والجواب عن هذه الشبهة: بمنع مساواة حكم الكل - من حيث هو كل - لحكم كل واحد على انفراده؛ بل الحكم في الحالين مختلف، يؤكد هذا الاختلافَ اختلافُ قوى العشرة - مثلًا - على تحريك ما لا يقوى عليه كل واحد منهم لو انفرد.

الشبهة الثانية: أن حكم كل طبقة من طبقات أعداد الرواة حكم ما قبلها بواحد، فإن من جوز إفادة المائة للعلم جوز إفادة التسعة والتسعين له قطعًا، وادعاء الفرق بين هذين العددين في إفادة العلم تحكم محض، وإذا كان الأمر كذلك، فلنفرض طبقة لا تفيد العلم قطعًا؛ كاثنين، ثم نزيد على هذا العدد واحدًا واحدًا؛ وحينئذ فلا يفيد العلمَ شيءٌ من هذه الطبقات بالغة ما بلغت؛ لمساواة كل منها لما قبلها في

(١) ينظر: بغية الراغبين، ص (٤٦).

عدم الإفادة. والجواب عن هذه الشبهة: أن الخبر المتواتر يفيد العلم اليقيني، وهذا أمر متفق عليه بين العقلاء؛ إذ حصول العلم بالخبر المتواتر أمر يضطر إليه الإنسان، لا حيلة له في دفعه[١]، ولأن حصول العلم من التواتر إنما هو بخلق الله تعالى إياه، وقد يخلقه بعدد دون عدد، فلا يُسلم تساوي طبقات الأعداد في احتمال الكذب وعدم إفادة العلم، كيف وحصول العلم بطريق تواتر الأخبار يختلف بالوقائع والمخبرين والسامعين؟! فقد يحصل العلم في واقعة بعدد مخصوص، ولا يحصل به في واقعة أخرى، وقد يحصل بإخبار جماعة مخصوصين، ولا يحصل بإخبار جماعة أخرى مساوية لهم في العدد، وكذا يحصل العلم لسامعٍ من عدد، ولا يحصل لسامع آخر من ذلك العدد.

الشبهة الثالثة: أنه لو أوجب التواترُ العلمَ لأوجبه خبر الواحد، واللازم باطل اتفاقًا[٢].

وبيان الملازمة: أن التواتر لا يشترط فيه اجتماع أهله اتفاقًا، بل يحصل بخبر واحد واحد، فالموجب للعلم على تقدير حصوله إنما هو الخبر الأخير وحده، لا مع ما سبق؛ لأنه قد انقضى، فقد أفاد خبر الواحد العلم حينئذ. والجواب عن هذه الشبهة: أن الأشاعرة يجعلون العلم عَقِيبَ التواتر بخلق الله تعالى، فقد يخلقه بعد إخبار عدد دون خبر واحد منفرد، فلا يكون الخبر الأخير موجبًا له؛ وبذلك تبطل هذه الشبهة عند الأشاعرة. وأما عند غير الأشاعرة، فهي باطلة – أيضًا – لأن الأخبار الصادرة عن أهل التواتر أسباب معدة لحصول العلم لا موجبة له، وهذه الأسباب المعدة قد لا توجب المسبب، بل تكون متقدمة عليه كالحركة للحصول في المنتهى، فللأخبار السابقة مدخل في حصول العلم كالخبر الأخير، وفاعله

(١) ينظر: روضة الناظر (٢٤٤/١).
(٢) ينظر: المواقف (٣٥٧/٣).

شيء آخر. ورد المعتزلة هذه الشبهة – أيضًا – فقالوا: إنا نجد من أنفسنا أن الخبر الأول يفيد ظنًّا، ويقوى ذلك الظن بالخبر الثاني والثالث... وهكذا إلى أن ينتهي إلى ما لا أقوى منه، فيلزم أن الموجب له هو الخبر الأخير، بشرط سبق أمثاله، وهذا هو المراد بكون التواتر مفيدًا للعلم، فلا يلزم أن يكون خبر الواحد المنفرد موجبًا له؛ وحينئذ فالتواتر يفيد العلم بحصول المعجزة(١).

المطلب الثاني: إنكار المستشرقين لحادثة انشقاق القمر

نشأة الاستشراق، بحسبانه ذراعًا فكرية لحركة الاستعمار الغربي للشرق الإسلامي منذ بدايات العصر الحديث، على أساس من إعلاء شأن المادية، لغرض سلخ المسلمين من دينهم وفتنتهم فيه، هذه النشأة تفسر أن المستشرقين كان لهم أكبر قسط من ضجيج الشبهات التي تقوم أول ما تقوم على إنكار المعجزات الحسية، مع تغليف دعاواهم وشبهاتهم بمزاعم يسهل انطلاؤها على العامة وضعاف العقول، مثل قولهم بالاكتفاء بالقرآن الكريم واستغنائهم به عن السنة النبوية، انبعاثًا من يقينية ثبوت القرآن وظنية ثبوت السنة.

وفي مقام تفنيد هذا المنطلق الواهي الذي ينطلق منه المستشرقون إلى هذه الأغلوطة والحجة الداحضة، يقول الشيخ محمد محمد أبو شهبة: "الذي أؤمن به أن القران هو المعجزة العظمى للنبي ﷺ، والآية العقلية الباقية على وجه الدهر، وأنه آية الآيات، ومعجزة المعجزات، ولكني أؤمن أيضا أن النبي ﷺ أوتي من المعجزات الحسية مثل ما أوتي الأنبياء السابقون، بل وأعظم، وهذه المعجزات الحسية بعضها ثابت بالقرآن الكريم نصا: كالإسراء، وانشقاق القمر، أو بالإشارة إليه كالمعراج، وبعضها ثابت بالأحاديث المتواترة، والكثير منها ثابت بالأحاديث

(١) ينظر: السابق.

الصحيحة المروية في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن والمسانيد. ولا يطعن في كونها معجزات أن النبي ﷺ لم يتحدّ الناس بها كما تحدّاهم بالقرآن الكريم؛ لأن فريقا من العلماء لا يشترط في المعجزة أن تكون مقترنة بالتحدي، ثم إن بعضها وإن لم يقع التحدّي به صراحة، لكنه في قوة المتحدّى به، ولا أدري ما الداعي إلى إنكار المعجزات الحسية؟! والشيء إذا تواردت عليه الأدلة والبراهين ازداد قوة وثبوتا، وفي كتب الأحاديث من الصحاح والسنن والمسانيد الكثير من المعجزات الحسية، والإمامان البخاري ومسلم وهما من هما، دقة وتحريا عن الرجال، وتشدّدا في الحكم بالتصحيح– قد خرّجا في صحيحيهما قطعة كبيرة منها، وعقد الإمام البخاري لذلك بابًا كبيرًا، والأقدمون من المؤلفين في السير والتاريخ ذكروا الكثير من المعجزات الحسية، وإن اختلفوا في ذكرها قلّة وكثرة، وابن إسحاق– شيخ كتاب السّير وعمدتهم– ذكر منها جملة مع قرب عصره من عصر النبوة، وقد لقي الكثيرين ممن أخذوا العلم والحديث عن الصحابة العدول، وروى عنهم. وقد ابتدع هذه البدعة السيئة– وهي الاكتفاء بالقرآن– المستشرقون، ثم سرت عدوى هذه البدعة إلى كتابنا المعاصرين"[(١)].

ولا خفاء في النظر السوي لحقيقة أن الطعن في المعجزات الحسية وإثارة الشبهات حولها ما هو إلا وسيلة خبيثة للطعن في القرآن الكريم نفسه. وهو ما يبتدئ من خلاله جليًّا فداحة التناقض الذي قامت عليه دعاواهم؛ إذ يراهم المتأمل في الوقت نفسه الذي يقولون فيه بالاكتفاء بالقرآن الكريم، وهم يشحذون حراب داعاواهم الداحضة التي يثيرون بها الشبهات حول ما ثبت في القرآن من المعجزات الحسية.

(١)السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد محمد أبو شبهة (٢١/١).

ومن هؤلاء المستشرقين الكثر أصحاب هذه الشبهات برزت أسماء أكثر من غيرها، فكان من أبرزهم:

- **كلير تيسدال (١٨٥٩-١٩٢٨):** كان تيسدال مستشرقًا طويل الباع في الحركة التنصيرية، كما كان في صدارة من أقاموا شبهاتهم على دعوى الاكتفاء بالقرآن الكريم والاستغناء به عن السنة النبوية، وضمن تفاصيل بنيانه الفكري الهش حولها في كتابه (المصادر الأصلية للقرآن)، وحتى يدعم مزاعمه وأباطيله انتهج نهجًا تفوق فيه، وهو نهج انتحال الفرية على النبي ﷺ بأنه ﷺ قد انتحل شعرًا لامرئ القيس، واستكمل هذا الكذب الصراح بما ضمنه كتابه هذا زاعمًا أنه من شعر امرئ القيس، وهو:

دَنَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ القَمَر ... عَن غَزَالٍ صَدَّ عَنِّي وَنَفَر

أحوَرَ قَد حِرتُ فِي أوصَافِهِ ... سَاحِر الطّرف بِعَينَيهِ حَوَر

مرّ يوم العيد بي في زينة ... فرماني فَتَعَاطَى فَعَقَر

بِسِهَامٍ مِن لِحَاظٍ تَرَكُوا ... مَن رَآهُم كَهَشِيمٍ مُحتَضَر[1]

- **كليمان هوارت (١٨٥٤-١٩٢٧م):** مستشرق فرنسي له مصنفات بالفرنسية في تاريخ بغداد، والآداب العربية، والخطاطين والنقاشين والمصورين في الشرق الإسلامي، وقدماء الفرس والحضارة الإيرانية. ونشر بالعربية «مقامات ابن ناقيا» ، وديوان «سلامة بن جندل» ، و«البدء والتاريخ» لابن المطهر[2].

وكان مدخل كليمان هوارت للطعن في حادثة انشقاق القمر إنكار المعجزة نفسها، لكن بفعل أشنع من ذلك وهو الطعن في القرآن الكريم الذي تحدث عن

(١)المصادر الأصلية للقرآن، كلير تيسدال، ص (٤١-٤٣).

(٢)الأعلام (٢٣٢/٥).

المعجزة، وهو أن القرآن الكريم ليس منزل من الله تعالى إنما هو تأليف بشري لنبينا محمد ﷺ، بل تعدى هذا وقال أن القرآن أيضًا مؤلف بشري وسرقه– والعياذ بالله– النبي ﷺ ممن سبقه من الشعراء والأساطير. فإنكار هوارت لآية انشقاق القمر رغم ثبوتها بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[1] هو طعن في هذا القرآن نفسه الذي دل بظاهره على وقوع هذه المعجزة والآية الكونية للنبي ﷺ. فماذا فعل كليمان هوارت؟ قال عن امرئ القيس: كان من أعظم شعراء العرب القدامى قبل محمد، وفي إحدى قصائده هناك أربع آيات مأخوذة منها تم إدخالها في القرآن من قبل محمد، وتظهر في سورة القمر الآيـــــــة: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾، و: ﴿ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾، و: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴾، و: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾. هذا في القرآن. أما امرؤ القيس فيقول:

دَنَـــتِ السَّاعَـــةُ وَانشَـــقَّ القَمَـــر ... عَـــن غَـــزَالٍ صَـــدَّ عَنِّيـــ وَنَفَـــر

أحـــورَ قَـــد حِـــرتُ فِـــي أوصَـــافِهِ ... سَاحِـــر الطّـــرف بِعَينَيـــهِ حَـــوَر

مَـــن رَاهُ يَومـــض عِيـــدٍ نَازِيـــاً ... فَرَمضَانِـــي فَتَعَاطَـــى فَعَقَـــر

بِسِهَـــامٍ مِـــن لِحَـــاظٍ تَرَكُـــوا ... مَـــن رَآهُـــم كَهَشِيـــمٍ مُحتَضَـــر

(١) سورة القمر آية: ١.

ثـم قولــه تعــالى: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[1]

فادعى أنها منقولة من قول امرئ القيس:

وإذا مــا غــاب عنِّــي سَاعَــةً كَـانَــتِ السَّاعَــةُ أدهَــى وَأمَــر

ثم ذكر أن ابنة امرئ القيس أدركت الإسلام، وسمعت أبيات أبيها فعرفتها، وطالبت بمعرفة كيف ظهرت أبيات أبيها فجأة في السورة. وقد تكفل الأستاذ العقاد بهلهلة هذا الإفك البين للمستشرق مفضوح الكذب كليمان هوارت، فيقول إن نظرة عابرة تحكم بأن هذا الكلام مبتوت الصلة بالشعر الجاهلي كله فضلا عن أن يكون من شعر امرئ القيس ذي الشاعرية الفذة، ثم إن التماثل في بعض الألفاظ لا يعني النقل على كل حال، ووقوع التماثل أمر طبيعي إذ جاء القرآن بما تعهده العرب في كلامها من أمثلة واستعارات وغير ذلك من ضروب البلاغة، ثم لماذا لم يهاجمه كفار مكة بهذه الحجة وهم أحفظ للشعر من كليمان هوارت[2]. وكان من وجوه الرد على مزاعم هذا المستشرق:

– أن هذه الأبيات لا توجد في ديوان امرئ القيس، على طبعاته الكثيرة، ولو كانت هذه الأبيات صحيحة النسبة إليه لذكرت في دواوينه.

– لم يذكر أصحاب كتب اللغة والأدب والشعر هذه الأبيات وأنها لامرئ القيس، فلم يذكر أحد شيئا من الأبيات.

– لاقى شعر امرئ القيس العناية الفائقة في جمعه وتمحيصه، وهناك الكثير من النسخ المشهورة لديوانه كنسخة الأعلم الشنتمري، ونسخة الطوسي، ونسخة

(١) سورة القمر آية: ٤٦.

(٢)ينظر: معجم افتراءات الغرب على الإسلام، أنور محمود زناتي، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٩م، ص (٢٢٢).

السكري، ونسخة البطليوسي، ونسخة ابن النحاس، ولا يوجد ذكر لهذه الأبيات في هذه النسخ، كما أن هناك دراسات وأبحاثًا اهتمت بشخص امرئ القيس ودراسة شعره، لم تذكر أي: من هذه الدراسات شيئا عن هذه الأبيات المنسوبة لامرئ القيس.

المطلب الثالث: ذيول المستشرقين في إنكار الحادثة

كان للمستشرقين في إنكارهم لحادثة انشقاق القمر ذيول من المحدثين الذين أنكروا الحادثة وقد لجأوا للتأويل لإنكار الحادثة من هؤلاء:

- **الشيخ محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م):** فقال: في معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[١]، بمعنى طلع وانتشر نوره، ويكون في الآية بمعنى ظهر الحق ووضح كالقمر يشق الظلام بطلوعه ليلة البدر[٢].

وشكك في تواتر روايات هذه الحادثة، واعتبر القول به زعما باطلا، وأنه لو وقع لتوافرت الدواعي على نقله بالتواتر لشدة غرابته، ولنقله جميع من شاهده، فقال: زعم بعض العلماء المتقدمين أن الروايات في انشقاق القمر بلغت درجة التواتر، وهو زعم باطل كقول ابن عبد البر[٣].

وانحاز لعقله وفهمه في إنكار الحادثة فقال: ومن المعلوم بالبداهة أن انشقاق القمر أمر غريب، بل هو في منتهى الغرابة... وانشقاق القمر غير معهود في زمن من الأزمان، فهو محال عادة، وبحسب قواعد العلم ما دام نظام الكون ثابتًا، وإن كان ممكنًا في نفسه لا يعجز الخالق تعالى إن أراده، فلو وقع لتوافرت

---

(١) سورة القمر آية: ١.

(٢)المنار (٣٠/٢٦١).

(٣)السابق.

الدواعي على نقله بالتواتر لشدة غرابته عند جميع الناس في جميع البلاد[١].

والشيخ رشيد رضا من المعروفين برد الأحاديث الصحيحة لا لعلل في أسانيدها أو لنكارة في متنها، إنما ردها عنده من قبيل أنه تخالف العقل وهذا ديدن المعتزلة وغيرهم من الفرق الكلامية[٢].

وانظر إلى قوله: وأما تلك العجائب الكونية، فهي مثار شبهات وتأويلات كثيرة في روايتها وفي صحتها وفي دلالتها، وأمثال هذه الأمور تقع من أناس كثيرين في كل زمان، والمنقول منها عن صوفية الهنود المسلمين أكثر من المنقول عن العهدين العتيق والجديد، وعن مناقب القديسين، وهي من منفرات العلماء عن الدين في هذا العصر[٣].

- **الشيخ أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ- ١٩٥٢م):** قال في تفسيره: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ أي: دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقرب انتهاء الدنيا، وهذا كقوله: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾[٥]. ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ أي: وسينشق القمر وينفصل بعضه من بعض حين يختل نظام هذا العالم

(١)السابق.

(٢)ينظر: آراء محمد رشيد رضا العقائدية في أشراط الساعة الكبرى وآثارها الفكرية، رسالة ماجستير، مشاري سعيد المطرفي.

(٣)تفسير المنار (١١/١٥٥).

(٤) سورة النحل آية: ١.

(٥) سورة الأنبياء آية: ١.

وتبدل الأرض غير الأرض، ونحو هذا قوله: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾[١]، وقوله: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ ﴾[٢] ، وكثير غيرها من الآيات الدالة على الأحداث الكبرى التي تكون حين خراب هذا العالم وقرب قيام الساعة. ويرى جمع من المفسرين أن هذا حدث قد حصل، وأن القمر صار فرقتين على عهد رسول الله ﷺ قبل الهجرة بنحو خمس سنين، فقد صح من رواية الشيخين وابن جرير عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء (جبل بمكة) بينهما، والذي يدل على أن هذا إخبار عن حدث مستقبل لا عن انشقاق ماض– أمور:

١) أن الإخبار بالانشقاق أتى إثر الكلام على قرب مجيء الساعة، والظاهر تجانس الخبرين وأنهما خبران عن مستقبل لا عن ماض.

٢) أن انشقاق القمر من الأحداث الكونية الهامة التي لو حصلت لرآها من الناس من لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم، ولبلغ حدا لا يمكن أحد أن ينكره، وصار من المحسوسات التي لا تدفع، ولصار من المعجزات التي لا يسع مسلما ولا غيره إنكارها.

٣) ما ادعى أحد من المسلمين إلا من شذ أن هذه معجزة بلغت حد التواتر، ولو كان قد حصل ذلك ما كان رواته آحادا، بل كانوا لا يعدون كثرة.

٤) أن حذيفة بن اليمان وهو ذلكم الصحابي الجليل خطب الناس يوم الجمعة في المدائن حين فتح الله فارس فقال: ألا إن الله تبارك وتعالى يقول: اقتربت الساعة وانشق القمر، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن

(١) سورة الانشقاق آية: ١.

(٢) سورة التكوير الآيتان: ١، ٢.

الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة، فهذا الكلام من حذيفة في معرض قرب مجيء الساعة وتوقع أحداثها، لا في كلام عن أحداث قد حصلت تأييدا للرسول وإثباتا لنبوته؛ لأن ذلك كان في معرض العظة والاعتبار.

وبعد أن ذكر قرب مجيء الساعة وكان ذلك مما يستدعى انتباههم من غفلتهم، والتفكير في مصيرهم، والنظر فيما جاءهم به الرسول من الأدلة المثبتة لنبوته، والمؤيدة لصدقه، لكنهم مع كل هذا ما التفتوا إلى الداعي لهم إلى الرشاد، والهادي لهم إلى سواء السبيل، بل أعرضوا وتولوا مستكبرين كما قال: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ أي: وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوتك، وترشدهم إلى صدق ما جئت به من عند ربك، يعرضوا عنها ويولوا مكذبين بها، منكرين أن يكون ذلك حقا، ويقولوا تكذيبا منهم بها: هذا سحر سحرنا به محمد، وهو يفعل ذلك على مر الأيام. وفى هذا إيماء إلى ترادف الآيات، وتتابع المعجزات[1]. ورغم إيراد المراغي لأحاديث انشقاق القمر فإنه لم يلق لها بالًا ولا اهتمامًا وكأن السنة النبوية لا تعتبر مصدرًا من مصادر الإسلام وتشريعه.

**

(١)تفسير المراغي (٢٧/٧٦-٧٨).

الخاتمة

في وجازة حيز هذه الخاتمة يعرض البحث لأهم النتائج التي توصل إليها وتكشف عنها، ثم لأهم توصياته.. وذلك على الإجمال التالي:

أهم نتائج البحث:

- بيَّن البحث أن الشبهات التي أثيرت حول آية انشقاق القمر هي عبارة عن أغلوطات ومشاغبات لا يساندها النظر الصحيح.
- بين البحث أن آية انشقاق القمر قد انعقدت الأدلة التي تفيد القطع في الثبوت والدلالة على حدوثها.
- بيَّن البحث توافق السنة النبوية الصحيحة المتواترة مع القرآن المتواتر في إثبات الحادثة، مما لا يصح معها القول بالإنكار الكلي أو الجزئي.
- انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ، وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم، مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها.
- أن ما أثاره المستشرقون، ويردده تلاميذهم وأتباعهم من شبهات حول آية انشقاق القمر، يرسم صورة منفرة للإسلام في أذهان غير المسلمين، وتعرقل مسيرة الدعوة التي توجه إليهم، ويحول دون اهتداء كثير منهم إلى نور الإسلام.

- **أهم التوصيات:**

يمكن للبحث بلورة أهم توصياته في إجمال التوصية إلى المجامع العلمية ومعاهد العلم والدرس وطلاب العلم الشرعي بالعناية بالرد على الشبهات التي يثيرها المستشرقون وأذيالهم حول القرآن الكريم.

- يوصي البحث باستيعاب شامل للإنتاج الاستشراقي في مختلف الميادين القرآنية والمجالات الإسلامية؛ وذلك لتفنيد ما يثار من مغالطات وشبهات.

- يوصي الباحث بدارسة المنهج الاستشراقي ونقده نقدًا علميًّا يتوافق مع الأدلة القرآنية الخالية عن المعارضة الراجحة.

وبالله التوفيق وعليه توكلت وإليه أنيب

المصادر والمراجع

- آراء محمد رشيد رضا العقائدية في أشراط الساعة الكبرى وآثارها الفكرية، رسالة ماجستير مشاري سعيد المطرفي، مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، الكويت، ط(١)، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين، تحقيق: د. يوسف موسى، مطبعة السعادة بمصر.
- الإسلام والاستشراق، د. محمود زقزوق، طبعة مكتبة وهبة.
- أعلام الحديث، للخطابي، تحقيق: د. محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، ط(١)، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- الأعلام، خير الله الزركلي، دار العلم للملابين، بيروت، ط(٧)، ١٩٨٦م.
- افتراءات المستشرقين على الإسلام، عرض ونقد، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ألفية السيرة النبوية، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي، دار المنهاج، بيروت، ط(١)، ١٤٢٦هـ.
- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، مالك بن نبي، مكتبة عمار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- بغية الراغبين، السيد عبد الحسين شرف الدين، دار المؤرخ العربي، لبنان، بيروت.
- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ .

- تثبيت دلائل النبوة، لعبد الجبار الهمذاني، دار المصطفى، شبرا، القاهرة.
- تفسير الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤١٥هـ.
- تفسير الخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- تفسير الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- تفسير الماتريدي، تحقيق: د.مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- تفسير المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (١)، ١٩٩١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط (١)، ١٤١٠هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر، ط (١)، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط (٢)، ١٣٨٤هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، تحقيق: علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني، مصر.
- خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، لمحمد بن أحمد بن مصطفى أبي زهرة،

دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٥هـ.
- الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، لابن قدامة، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط(٣)، ١٤٠٤هـ.
- سبل الهدى والرشاد، للصالحي، تحقيق: عادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٤هـ.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (٢)، ١٩٩٨م.
- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد محمد أبو شبهة، دار القلم، دمشق، ط (٨)، ١٤٢٧هـ.
- شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق الشيخ حسنين مخلوف، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، بدون تاريخ.
- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (٤)، ١٣٩١هـ.
- شرح المواقف، للسيد الشريف الجرجاني، مطبعة السعادة، مصر، ط(١)، ١٣٢٥هـ- ١٩٠٧م.
- شرح النووي على صحيح مسلم، لمحيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووي دار الريان للتراث.
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، لعياض بن موسى اليحصبي الأندلسي،

مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
- الصحاح، للجوهري، دار الحضارة العربية، بيروت، ط (١)، ١٩٧٤م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (١)، ١٣٧٥هـ.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- الغزو الفكري أبعاده ومواجهته، د. عبد العزيز تمام يوسف، دار الطباعة المحمدية.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
- القاموس الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، تحقيق: عادل عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض ط (١)، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف، القاهرة.
- المحيط في اللغة، لابن إدريس الطالقاني، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط (١)، ١٤١٤هـ.
- المسند، لأحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط(٥)، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- مشكل الآثار، للطحاوي، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط (١)، ١٩٦٤م.

- المصادر الأصلية للقرآن، كلير تيسدال، ترجمة: عادل جاسم، منشورات الجمل، ٢٠١٩م.
- المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار المعارف، القاهرة، ط(٢).
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، عالم الكتب، بيروت، ط(١)، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- معجم افتراءات الغرب على الإسلام، أنور محمود زناتي، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٩م.
- معجم المقاييس في اللغة، لابن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل، دار المعرفة، بيروت، ط (٢)، ١٤٢٠هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو، وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
- مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، محمد البشير مغلي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- المواقف، لعضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط(١)، ١٤١٧هـ.
- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لمحمد بن جعفر الكتاني أبي عبد الله، تحقيق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر.

* * *